إن في ذلك لآية

- إقبال الصيف وقدوم الشتاء

« إن في ذلك لآية »

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكوراً، وأشـــهد أن لا اله إلا الله خلق الأشياء فقدرها بحكمته فأنْعم به حكيماً خبيراً، واشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ تسليماً كثيراً ..

أمـــا بعـــد :فـــإن الله تعالى بحكمته ورحمته خلق الليل والنهار والشمس والقمر، وجعل الظلمات والنور والظل والحرور والشتاء والصيف لحكم عظيمة ومنافع جسيمة.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : « ومن آياته سبحانه، الليل والنهار، وهما من أعجب آياته وبدائع مصنوعاته، ولهذا يعيد الله ذكرهما في كتابه الكريم كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ ﴾ [فصلت:٣٧] وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٣]

وفي كرِّ الليل والنهار وتقلبهما يقدر الله فصول السنة والأعوام فيكون الصيف والشتاء والربيع والخريف وهن آيات من آيات الله العظيمة وفيهن من الحكم والعظات ما حدث عن بعضها الصادق المصدوق ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم قال : (**اشتكت النار إلى ربها فقالت يا**

رب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين ، نفس في الشتاء ونفس بالصيف فأشد ما تجدون من الحر،وأشد ما تجدون من الزمهرير)[١].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (يستغيث أهل النار من الحر فيغاثون بريح باردة يصدع العظام بردها، فيسألون الحر) وعن مجاهد رحمه الله قال : يهربون إلى الزمهرير فإذا وقعوا فيه حطم عظامهم حتى يسمع لها نقيض، وقد قال الله عز وجل ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ ﴾ [النبأ: ٢٤ ــ ٢٥] .

قال ابن عباس : الغساق هو الزمهرير البارد الذي يحرق من برده أجارنا الله من جهنم وأعاذنا من عذابها .

ما حرُّ الدنيا عند حر الآخرة:

شدة الحر في الدنيا تذكر بحرٍّ الموقف العظيم يوم القيامة، كما تُذكر بحرٍّ نار جهنم وكلما اشتد الحر في الدنيا كان ذلك أدعى للتفكر والتذكر، وعدم نسيان حر القيامة وحر نار جهنم، ونبينا محمد ﷺ قد ذكر لنا أن الشمس تكون قريبة من رؤوس العباد في عرصات القيامة، قال عليه الصلاة والسلام: (**تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً وأشار النبي ﷺ بيده إلى فيه)** [٢] .

---

(١) البخاري (٤٣٨/٦) ومسلم رقم (٦١٧) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٤).

فليتذكر من يستعد للسفر إلى بلاد الكفر فراراً من موجات الحر براءة الرسول ﷺ منه بقوله: **(أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين)**[1] وهو أحوج ما يكون على شفاعة الرسول ﷺ يوم تدنو الشمس من الرؤوس.

كان ابن عمر إذا شرب الماء البارد في الحر بكى وتذكر أمنية أهل النار ، وأنهم يشتهون الماء البارد وقد حيل بينهم وبين ما يشتهون.

ويقول عمر رضي الله عنه : « أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وقعرها بعيد ومقامعها من حديد » .

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: « صوموا يوماً شديد حره لحر يوم النشور وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور » .

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله وهو يدعو للاتعاظ والاعتبار بآيات الله الكونية والشرعية : يا من تتلى عليه أوصاف جهنم ويشاهد تنفسها كل عام حتى يحس بها ويتألم وهو مصر على المعاصي .. ستعلم إذا جيء بها تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ، من سيندم !! ألك يا هذا صبر على سعيرها وزمهريرها ، قل لي: ما الذي ينفعك ؟! فلن ينفعك والله ساعتها الندم ولات ساعة مندم ، ومن تأمل فإن للبرد وشدته فضائل فمن فضائل البرد وشدته أنه يذكر بزمهرير جهنم ويوجب الاستعاذة منها ،ويجنب الأعمال الموصلة إليها من ترك الواجبات وفعل المحرمات .

بكى معاذ بن جبل رضي الله عنه عند موته، فقيل له ما يبكيك ؟ قال : إنما أبكي على ظمأ الهواجر وقيام الليل في الشتاء ، ومزاحمة العلماء بالركب عند

---

(١) رواه الترمذي رقم (١٦٠٤) وأبو داود رقم (٢٦٤٥) والنسائي (٣٦/٨) انظر جامع الأصول (٤٤٥/٤).

حلـــق الذكـــر ، وإسباغ الوضوء في شدة البرد (على المكاره).. رضي الله عنه وأرضـــاه ، تأمل هذا القول وانظر إلى نفسك ومن حولك هل هناك من يبكي اليوم على شيء مما ذكر! بل هل هناك من يأسى على فواتها .

وفي صـــحيح مسلم يقول الرسول ﷺ : (**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايـــا ويـــرفع بـــه الدرجات** ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : **إسباغ الوضـــوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكـــم الـــرباط فذلكـــم الرباط**)[1] والمراد بالمكاره : شدة البرد ، فاحتمال المكـــاره على الوضوء في البرد مما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات ، وقال الحسن البصري رحمه الله : نعم زمان المؤمن الشتاء ..ليله طويل يقومه ، ونهاره قصير يصومه .

أيها الإخوة: إن هذه الوقفات وتلك المشاهد والأحوال مع ربطها بالآخرة والاستعداد لها ليزيد المرء إيماناً ويقيناً ويحثه على الإحسان في العمل ، يقول أحد الزهاد : والله ما سمعت الأذان إلا تذكرت النفخ بالصور وما رأيت الثلج يتساقط إلا تذكرت تطاير الصحف في يوم الحشر والنشور !! من تذكر منا ذلك أيها الأخوة ؟! ومن مر بخاطره استشعار هذا الأمر وهو يسمع المؤذن أو يرى تساقط حبات المطر ؟! فلقد كان رسول الله وهو خير قدوة في ذلك كما تقول عنه عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ إذا رأى ناشئاً في السماء ـــ أي سحابة ـــ قام وقعد ودخل وخرج وأقبل وأدبر فإذا مطرت سري عنه[2] ـــ أي أصابه السرور ـــ يخشى أن يكون ذلك ليس من الرحمة بل من العذاب،

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥١) والنسائي (١/٨٩ ـــ ٩٠).

(٢) رواه مسلم .

يقول: (**ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب فقد عذب قوم بالريح**)[١] ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ [الأحقاف:٢٤ ــ٢٥] وهكذا إذا هبت الريح كان يقول عليه الصلاة والسلام : (**اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به**)[٢].

ومن مواقف العبر في الشتاء وشدة البرد ، دعوة ندعوك بها أخي أن تتأمل وتتفكر بحال أولئك العراة من إخوانك المسلمين في بقاع من الأرض شديدة البرودة كثيرة الثلوج وهم يعانون لفحات برد الشتاء القارص وزمهريره قد شابت رؤوسهم وضعفت أبدانهم عن تحمله في خيام بالية ومنازل متهاوية على ضعف في الحال وقلة في المال ونقص في الثياب والدثار ما يغطي أجسادهم ويستر عوراتهم .. صوراً لو تأملتها بقلب ينبض بالإيمان واستشعرتها بروح تغمرها إخوة الإسلام لا تملك معها دمعاتك ولا تتردد أن تسعفهم بكل ما تجود به نفسك .. وعوداً على بدء أقول إذا كان الله تعالى قد قدر هذه الآيات ــ من حر وبرد وريح ومطر وخسوف وكسوف ونحوها ــ قد قدرها الله لحكمة فهلا تعاملنا معها بما شرع ! وجعلناها عبرة وعظة.

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه مسلم.